الصراع الحاد كان مع إدارة المعتقل حيث إن الظروف القاسية لا تسمح بالسكوت عليها وتوجب تحزماً سريعاً، ولكن أي صورة للاحتجاج أو الاعتراض تقابل على الفور بالقمع الشديد والعقابات الجماعية، فيجمع المعتقلون في الساحات جلوساً على الأرض لساعات طويلة ثم يأتي قائد المعتقل ببدلته العسكرية، يضع يديه على خاصرته مستعرضاً متبختراً يدك الأرض بقدميه مهدداً متوعداً باللغة العربية المكسرة.

محمد كان مستقراً في رام الله وكان عليّ أنا وأخي حسن القيام بأعباء العائلة كاملة خاصة إزاء أمي وزوجة أخي محمود وأبنائه وأختي مريم زوجة إبراهيم، وقد توقفت عملية إكمال البناء في الدار وتحولت الدار إلى واقع بئيس من بكاء أمي وزوجة محمود ومريم، إذا وضع الطعام انفجرت أمي باكية ولحقتها الأخريات فبكى الأطفال، ويبدأ حسن وأنا بمحاولة التهدئة وتطييب الخواطر و الدعوة للصبر وأن الفترة ليست طويلة، كلما احتاج أحد الأولاد شيئاً أو سأل أمه متى يعود أبي يا أماه؟ انفجرت أمه باكية ومن ثم كان عليّ أنا وحسن أن نهب للملمة الأوضاع وإعادة الاستقرار.

فجأة... ومرة واحدة وقع ما لم يكن بالحسبان، فقد جاءوا واعتقلوا "حسن" كذلك فوجدت نفسي أمام مأساة إنسانية لا أملك القدرة على احتمالها، حيث انضمت زوجة حسن وأبناؤه لجانب الأسى، وكان عليّ أن أحاول المواساة فأفلح أحياناً وأفقد أعصابي أحياناً أخرى، فأبدأ بالصراخ: ان هذا الحزن والبكاء لا مبرر له وهل أن ستة أشهر من السجن تساوي كل هذا العذاب والبكاء، ويبدو أن الصراخ عليهن كان أجدى لإنهاء الحزن أو لإخفائه حتى تدخل إحداهن غرفتها فلا أدري ما يكون حالها... ولكن بدأت حالة النواح والندب الجماعية تتقلص في الدار ويبدو أنهن قد تكيفن مع الواقع بعد مرور الشهرين الأولين.

بوصول حسن إلى النقب وصل معه المئات من المعتقلين من غزة والضفة، نشطاء من كل القوى والاتجاهات ولكن بات واضحاً أن عدد الإسلاميين يزداد بصورة واضحة، وقد بدأوا يشكلون قوة ملحوظة وواضحة، بعد أيام اجتمع عدد منهم وعلى رأسهم إبراهيم وحسن حيث قرروا وقف حالة الإلغاء لوجودهم كتجمع وفرض التعامل معهم كأفراد، فذهب عدد منهم إلى محمود وعدد من قياديي القوى الوطنية، أخبروهم أن عليهم التعامل معهم كقوة مستقلة لها كيانها وأن عليهم أن يخلوا لهم بعض الخيام ليتمكنوا من العيش معاً أسوة بباقي الفصائل الأخرى وليتمكنوا من مزاولة حياتهم بالصورة التي تناسبهم.